مجلة المعجمية - تونس

ع 14-15

1999

المعاجم الثنائيّة التي تكون العربيّة إحدى لغتيها

بحث: أحمد شفيق الخطيب

1 - تمهيـــد :

مع أواخرِ القرن الرابعَ عشر الميلادي أخذ عهد من الظُّلمة يَدْمِسُ على بلاد العرب، وراح يتزايد ويعمُّ حتى شمل البلاد والعباد. فلا متنبيَ في الشِّعر، ولا ابنَ سينا في الطِّب، ولا بيروني في العلم، ولا جاحظَ في الأدب. نُسِيَتْ كتبهم وعلومهم وفنونهم فانحط الأدب، وتشعوذ الطبُّ، وأفل نورُ العلمِ والمتعلمين، ورانَ على المِنْطقة سبات عميق استمرَّ خمسة قرون!

ومع إطلالة القرن التاسع عشر، وبعد حملة نابليون بخاصة، بدأ العالم العربيُّ، أو على الأصحّ بعضه، يُفيق من غفْوة القرون الخمسة إثر الاحتكاكات والاتّصالات الوثيقة بالغرب عسكريًا واقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا واجتماعيًا.

وقد بدأت تباشير هذه النهضة في المشرق في موقعين كانا دوما أرضا خصبة للانبعاث والتّطوّر، هما بلاد الشام ومصر.

في بلاد الشام، ولبنان بخاصة، بدأت بوادر حركة النهضة عن طريق البعثات الدّينيّة الأولى والمدارس اليسوعيّة والمطابع التي رافَقَتْها، في دَيْرِ قَزْحيَّا وحلب والشّوير، منذ القرن السادس عشر.

وتسارعت حركة النهضة بشكل ملحوظ منذ حطَّ المُرْسَلُون الأمريكيّون رحالهم في بيروت عام 1834، فبدأتْ نشاطاتُهم معاهدَ وترجمات ومعاجمَ ومطبعة.

وعندما أخذ المُرسلونَ الأمريكان يُهددون ما حقّقه اليسوعيّون في قرابة مئتي عام، عادت الإرْساليات الفرنسية التي كانت قد تركت لبنان عام 1775 لأسباب داخلية فرنْسيّة، بحماسة وكثافة فائقتين؛ وكان تنافس شديد بروتستانتيّ- يسُوعيّ عاد بالخير على بلاد

الشّام والعالم العربيّ بأسره، وقدّم للمنطقة أحسن مدارسها وجامعاتها ومستشفياتها ومطابعها ورجالاتها من فطاحل عصر النهضة من البستانيّين بطرس وعبد الله إلى اليازجيّين ناصيف وابراهيم إلى الشّدياق والأسير والمعلوف وغيرهم.

أمّا في مصر، فقد كان للحملة النابليونية الفرنسيّة، على قصر أمدها، أثرها البالغ في فتح الأعين، وبخاصّة أعين الحكام، على الحضارة الأوروبيّة. فما أن تسلّم محمّد علي مقاليد السّلطة عام 1805 حتّى عكف على نقل مدنية الغرب إلى مصر عن طريق المعاهد العسكريّة والطّبيّة والهندسيّة والألسُنيّة بين 1826 و 1835، وعن طريق البعثات من الشّباب المصريّ إلى معاهد الغرب للتعلّم والتخصّص.

لقد جعل محمّد علي الترجمة إحدى وسائله لنقل علوم الغرب وحضارته؛ فأسّس قلم الترجمة عام 1841، وكان يفرض على المدرّسين وتلاميذ البعثات أن يترجموا الكتب التي تعيّن لهم وأن تكون ترجماتهم متقنة وسليمة من الخطإ. وبذلك وضع مصر والمشرق عموما على درب الحضارة ومدارجها.

وجدير بالذّكر أن كلية الطّب في « أبو زعبل» ثم في «قصر العيني» استمرّت تدرّس الطّب باللغة العربية على مدى ستين عاما، وفي رحابها نشأ أعظم أساتذة علوم الفيزياء والكيمياء والأحياء ونَقَلَتهَا، كما اكتشف أحد مدرّسيها، الطبيب الألماني تيودور بلهارس، جرثومة البلهارْسيا عام 1851.

لكن إثر فشل حركة عُرَابي ضدَّ الأتراك والانكليز عام 1882 أصبح الحكم في مصر إنكليزيّا احتلاليّا بالفعل وعثمانيّا بالإسم فقط. وكي لا يكون الاحتلال والاستعمار عسكريّا واقتصاديّا فحسبُ، بل ثقافيّا ولغويّا أيضا، حوّل الإنكليز لغة التعليم في هذه الكليّة وسواها إلى اللغة الانكيلزية سنة 1887.

وفي حوالي الوقت نفسه ولأسباب لم يقتنع بها حتى بعض الأمريكيين الروّاد، تحوّل التدريس في كليّة الطب في الكلية السّورية الانجيلية (الجامعة الامريكية فيما بعد) إلى اللغة الإنكليزية، بعد أن كانت إنجازات العاملين فيها من أمثال فان دايك وبوست وبُورتَر وورتبات، بمعاونة بطرس البستاني والأسير والشّدياق واليازجيَّيْن قد أنجحتْ تدريس العلوم الطبية فيها باللّغة العربيّة، بمنهج عصريّ ومستوى راق، قرابة ربع قرن (1).

(1) من 1867 إلى 1890.

وإثر الحرب العالميّة الأولى وتفتّح الوعي على ضرورة تدريس العلوم باللغة العربيّة، قام معهد الطبّ في دمشق عام 1919 على أنقاض كليّة الطب التركية التي لم يكن قد مضى على تأسيسها عقدان من الزّمن. وبقرار شجاع تمّ العزم على جعل العربيّة لغة التدريس بدل التركيّة. فشمّر أساتذة المعهد الطبّيّ،وجلّهم ممّن درسوا الطبّ باللغة التركيّة، عن ساعد الجدّ ينبشون تراثنا الطبي كقانون ابن سينا وحاوي الرازي وتذكرة الكحّال وتصريف الزهراوي وبطون المعاجم العلميّة واللّغويّة المختلفة، ومستفيدين من مصطلحات معهد الطّبّ في قصر العيني وكليّة الطبّ في بيروت في عصر العربية الذهبي فيهما. وما هي الاّ بضع سنوات حتى كان كلّ أستاذ قد وضع مؤلّفات في الفرع الذي وُسِّدَ إليه أمره، وكان منهم كبار، معجميّون ومؤلّفون، من أمثال مرشد خاطر وأحمد حمدي الخيّاط ومحمد جميل الخاني وصلاح الدين الكواكبي وحسني سبّح وغيرهم.

ويقيني أنه لو استمرّت جهود معهدي الطبّ في القاهرة وبيروت لتتضافر مع جهود رجال المعهد الطبّي، المفخرة القوميّة المستمرة، في دمشق، لتغيّر مسار العلم والثقافة عموما في الوطن العربيّ، ولما كانت معظم موادّ العلوم الطبية والتقنيّة تدرّس بلغات أجنبيّة في جامعاتنا العربيّة السّبّعين!

2 - المعاجم (أو القواميس) الثّنائيّة :

الغالب أن كلمة «معجم» هي من الجذْر «عجم». يقال : عجم الحرف أو الكتاب : أي أزال إبهامه بالنَّقْط والشّكل.

ومن هذه الدّلالة جاءت تسمية الحروف الهجائية بـ «حروف المعجم»، نظراً إلى أن النَّقْط في كثير منها يزيل التباسها ؛ ومنها أيضا جاءت تسمية الكتاب الذي يزيل التباس معاني الكلمات وغموضها بـ«المعجم».

ورغم استخدام اللفظة في تسمية بعض الأعمال المعجميّة الطابع حوالي القرن العاشر الميلادي، كمعاجم الشيوخ (للموصلي والبغدادي وابن شاهين) ومعجم الصّحابة (للمثنّى) ومعاجم قراءات القرآن وأسمائه (للنّقّاش الموصلي) ولاحقًا معجم الأدباء ومعجم البلدان للحموي (1179-1229)، فإن معجميّي العرب المتقدّمين لم يطلقوا لفظة «معجم» على أعمالهم -من «عين» الخليل إلى «مقاييس» ابن فارس إلى «صحاح» الجوهريّ إلى «مصباح» الفيّومي و«تاج» الزّبيدي و«عُباب» الصاغاني و«أساس»

الزمخشري و«قاموس» الفيروزابادي- وصولا إلى المحدثين في «محيط» البستاني و«موارد» الشّرتوني و«متن» رضا «ومنجد» المعلوف و«مرجع» العلايْلي.

ونظراً إلى ميزات القاموس المحيط للفيروزابادي من حيث الإيجاز والضبط والدّقّةُ، أعيد طبعه مراراً في القرن الماضي وانتشر بين جمهور المتعلّمين والدارسين كأهمّ مرجع لتقصّي مفاهيم مفردات اللغة، فأصبح اسمُ «القاموس» عَلَمًا على أيّ مرجع معجميّ ممّا أعطى لكلمة «قاموس» معنًى جديدا في أذهان الناس، حتّى إنّ سعيد الشروتوني في معجمه «أقرب الموارد» أثبت هذا المعنى المولّد لكلمة قاموس بمعنى «معجم». ومنذئذ شاعت كلمة **قاموس** كمرادف لكلمة **معجم**.

ونحن اليوم نستخدم الكلمتَيْن بمعنى مرجع لغوي تعرّفه المعاجم العربية بأنّه كتاب لمفردات اللغة مضبوطة بالشّكل ومشروحة ومرتبةً على الحروف الهجائيّة (2).

والمعجم قد يكون عامًا يجمع ألفاظ اللغة (أو ما يتخيّرُه المؤلّفُ منها) أومتخصّصا يعالج ألفاظ علم أو فنّ معيّن كالطب أو الفيزياء أو القانون أو الرياضيّات، أو حتّى ألفاظ قِطاع معين من هذا العلم، فيكون أكثر تخصّصا كمعجم طبّ الأسنان أو معجم الدّم أو معجم ألفاظ تكوين الجنين في مجال الطّبّ، أو معجم مصطلحات الميكانيكا أو معجم الضوء أو معجم الصّوت في نطاق الفيزياء.

وقد يكون المعجم موضوعيًا تُرتَّب فيه الألفاظ حسب المواضيع، فتشرح بالعبارات أو بالمترادفات كمخصّص ابن سيده قديما ومكنزة روجيه حديثا، أو بالصّور في فئات ضمن الموضوع نفسه كمعجم ديودن «Duden» (3).

والمعجم قد يكون أحاديَّ اللّغة ترد فيه المداخل ومقابلاتها ودلالاتُها المختلفة باللغة نفسها أو ترد مداخِلُه بلغةٍ ومُقابلاتُها بأخرى (أو أكثر) في المعجم الثنائيّ (أو المتعدّد) اللغات.

فلقد كان العرب السّباقين في مجال المعاجم والمؤلّفات المعجميّة بالمفهوم الحديث.

---

(2) «محيط المحيط» يعرّف القاموس بأنه كل كتاب في اللغة مشتمل على مفرداتها مرتبة على حروف المعجم مع ضبطها وتفسير معانيها. و«المنجد» يقول: المعجم كتاب اللغة وما يعرّفونه بالقاموس. وفي «الوسيط»: المعجم ديوان لمفردات اللغة مرتّب على حروف المعجم. والتعريف الوارد هنا مقتبس عن «المعجم المدرسي»، وزارة التربية، الجمهورية العربية السورية.

(3) يضمّ المعجم 384 لوحة موضوعية مصوّرة تحوي 28000 مسمّى تغطي مختلف مجالات المعرفة، وكلّ المسمّيات مفهرسة ألفبائيًا في نهاية المعجم. صدر المعجم بالألمانية عام 1970 وترجم إلى عدّة لغات.

ويعدّ «الخليل بن أحمد مكْتشفَ فكرة المعجم الذي يَستوْعبُ ألفاظ اللغة» (4) كما يَتَبَيّنُ من معجمة «كتاب العيْن» الذي ألفه في أواخر القرن الثامن الميلاديّ، وقد استطاع العرب في القرون التالية أن ينتجوا أعمالا معجميّة ضَخْمةً تشهدُ بتفّوقهم في هذا المجال في وقت لم يكُنْ مثلُ هذه الأعمال معروفًا في العالم الغربيّ. و«كان لهم في أواخر العصور الوُسْطى مُعْجَم - هو «القَامُوسُ المحيط» للفيروزابادي - أصبحَ اسمه عَلَمًا على المعاجم، وكانت نُسَخُهُ المخطوطة قبل انتشار الطباعة في البلاد العربيّة تعدّ بالآلاف» (5)، كما «كان لهم مُعْجم جامع شامل - هو «لسان العرب» لابن منظور - قد فاق كُلّ ما أُلّفَ قبل القرن التاسع عشر في اللغات الأخرى من المعاجم، دقّة وشمولا» (6).

والعرب، أيضا، كانوا سبّاقين في حقل الترجمة. فقد بدأ التّراجمة الروّاد نقل علوم الطّبّ والفلك والكيمياء في عهد الأمويين، وتوالت التّرجمات زمن العباسيين في بيت الحكمة، أوّل مؤسّسة رسميّة لترجمة العلوم. وقد بلغ عدد الكتب التي ترجمت إلى العربيّة 400 كتاب حسبما ذكر ابن النديم في الفهرست، شملت فيما شملت أعمال جالينوس وأبقراط في الطب، وأعمال بطليموس في الفلك، وأعمال إقليدس في الهندسة. فصبّ هؤلاء المترجمون جُلّ الانتاج اليونانيّ ومعظم الفارسيّ والسّريانيّ في بحر الضاد، لتصبح العربيّة لغة التّراث العلميّ للإنسانيّة في تلك الحقبة.

ورغم ذلك كلّه، لم يعرف العرب المعجم الثنائيّ بمفهومه الدقيق إلاّ في العصر الحديث.

والثابت تاريخيّا أنّ المعجم الثنائي اللغة سابق للمعجم الأحاديّ. فأقدم المعاجم التي تمّ الكشف عنها هي معاجم سومريّة أكّاديّة في أحافير العراق، كانت أملتها ظروف خاصّة. فقد واجه الأشوريون في بابل قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام صعوبة في فهم الرّموز السّومرية، فأعدّوا قوائم تشتمل على الكلمات السّومريّة مع مقابلاتها الأكّاديّة الأشوريّة.

كذلك نجد أنّ المعجميّة الغربيّة ابتدأت أيضا بالمعاجم الثنائية؛ فكان المعلّمون في عدد

---

(4) John A. Heywood, : Arabic Lexicograhy - Leiden, E.J. Brill, 1960, p.27,132

(5) المرجع نفسه، ص 2.

(6) المرجع نفسه، ص 2.

من الأقطار الأوروبيّة يعدّون قوائم ومسارد بالكلمات اللاتينيّة وما يقابلها في لغاتهم، لمساعدة طلاّبهم على فهم الكتب المدرسيّة التي كانت تدوّن باللاتينيّة.

وعرف المشرق العربيّ وضعا مماثلا منذ بداية عصر النّهضة، حين انطلقت حركة الترجمة على قدم وساق، بدعم من محمّد علي وحماسه، لتلبية احتياجات المدارس العسكرية والهندسيّة والطبيّة والزّراعية التي أنشأها ؛ ومسّت الحاجة إلى المعاجم الثّنائية فكانت من السّمات المميزة لتلك الفترة.

كانت حركة الترجمة متّجهة أول الأمر إلى النّقل عن الايطالية، وهي اللغة التي ظلّت حتى القرن السابع عشر تمدّنا بالألفاظ الحضارية أكثر من سائر اللّغات الأوروبية؛ ثمّ أخذ النّفوذُ الفرنسيّ ينافس الايطاليّ ؛ ثمّ جاء الإنكليز والأمريكان فطغى نفوذهم، وعمّ انتشار لغتهم أو كاد.

الكتبيّون الببليوغرافيون، يحصون من المعاجم الثّنائيّة التي جُعلَت العربية إحدى لغتيها حتى الثمانينّيات، خمسمائة وسبعين، ما يقارب نصفها لغويٌّ عَامٌّ والنّصف الآخر متخصّص؛ ومن النصف اللغوي عشرة مع الايطالية، وخمسة وأربعون مع الفرنسيّة، وستّون مع الانكليزية.

ومن المعاجم الطّريفة واحد بين الأحادية والثّنائية هو «قاموس الألفاظ المستحدثة أو الغريبة » الذي ألحقه رفاعة الطّهطاوي بكتابه «قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر» - وقد طبع في بولاق 1833- حيث كتب اللفظ بحروف عربيّة حسب طريقةنطقه بالفرنسيّة، متبوعا بطريقة اللفظ بالعبارة، يلي ذلك شرحٌ لمعنى اللفظ في جملة أو أكثر من ذلك :

إسقيمو : بكسر الهمزة وسكون السّين، بعدها قاف مكسورة، فياءٌ ساكنة فميم مضمونة بعدها واوٌ - وربّما زيد فيها شينٌ معجمةٌ ثقيلة، إسقيموش - : قبائل بشمال أمريكا هَملٌ مثل أهل لابونيا والسّويد، ولهم توحُّشٌ عظيم.

إلكتريسته : بكسر الهمزة واللاّم وسكون الكاف وكسر التاء والراء وكسر السّين وفتح التاء - المسَماة الرّسيس بفتح الرّاء المشدّدة وكسر السّين، التي هي خاصّة الكهرباء عند حكّها.

ويدافع الطهطاوي عن هذه الطريقة بقوله : «ولو وضع المترجمون نظير ذلك في

كلّ كتاب يترجم، لانتهى الأمر بالتقاط سائر الالفاظ المرتّبة على حروف الهجاء ونظمها في قاموس مشتمل على سائر غريب الألفاظ المستحدثة التي ليس لها مرادف أو مقابل في لغة العرب، فإنّ هذا ممّا يفيد الطلاب، وبه تحصل الإعانة على كلّ علم وكتاب».

ولعلّ أوّل المعاجم الثنائية العربيّة بالمفهوم الحديث هو قاموس رافائيل زخور، ايطالي- عربي، وكان من الأساتذة الذين دخلوا في خدمة محمّد علي للتعليم في المدارس التي أنشأها.

يقول المؤلّف في مقدّمته : «. . . فقد اضطُررْتُ من قِبَلِ وظيفة التّعليم، وسهولة درس معنى الألفاظ بهذه اللّغة والتفهيم على التلامذة الدارسين، وعلى من يتدب لترجمة الكتب من المتفقّهين، لأنّي (كذا) أؤلّفُ كتابًا ترجمانًا وجيزًا، مقتطفًا عزيزًا، يشتمل على كل ما يحتاج الأمرُ إليْه، وما كان المعوّل عليه، وذلك في اللغتيْن الايطاليانيّة والعربيّة، ممّا في الترجمة من الألفاظ الضروريّة»(7). وقد طبع الكتاب في بولاق سنة 1238هـ/1821م.

أوّل المعاجم الفرنسيّة العربيّة كان من وضع الياس (إليوس) بقطر، ترجمان نابليون حين استيلائه على مصر. وكان ممن رحلوا إلى باريس مع رحيل الحملة الفرنسية حيث عمل أستاذا للعربية في مدرسة اللّغات وترجمانا في نظارة الحربيّة. وقد طبع معجمه عام 1829، وظلّ المرجع المعتمد حتّى ظهر معجم «بلو» عام 1857.

في المعاجم الإنكليزية العربيّة يتقاسم السبْق مستشرقان : «إدْوارْ وِلْيَمْ لين » الذي صدرت الأجزاءُ الخمسةُ الأولى من معجمه «مَدّ القاموس» عربي - انكليزي قبل وفاته عام 1874، وتلتها الأجزاء الثلاثة الأخرى على يد ابن أخته «ستانلي لين پول» عام 1893؛ وكان قد صدر في لندن حينئذ ، «كتاب الذخيرة العلمية إنكليزي - عربي» لجورج پرسي بادجر عام 1881. ويعتبر العملان من خيرة المعاجم الثّنائية حتّى يومنا هذا.

وللّذين تهمّهم اللغة الألمانية نذكر أنّ ما صدر منها حتى الثمانينيات بلغ أربعة عشر، وأن أوّلها كان من وضع أدولف ڤارموند، عربي - ألماني، صدر ما بين 1870 و1877. ولا تذكر مَراجِعي معجما ألمانيّا - عربيّا قبل معجم المستشرق الألماني إرنست هاردر عام 1903.

---

(7) ينظر : جمال الدين الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، القاهرة، 1951، ص ص 186- 187.

أمّا المعاجم المتخصّصة التي جعلت العربيّة إحدى لغتيهافإنّ أوّلها «قاموس طبي، فرنساوي - عربي»، طبع في باريس عام 1870، وضعه الحكيم محمود البقلي، أحد مبعوثي مدرسة قصر العيني وخرّيج مدرسة الطّب بباريس.

واضح أنّ المعاجم الثنائيّة عندنا، اللغوية منها والمتخصّصة، بدأت ومازالت، باستثناء عدد قليل من الأحدث صدورا، معاجم ترجمة، أو معاجم استيعاب، يرجع إليها لترجمة لفظ أجنبيّ، أو لفهم مادة نصّ أجنبيّ. أي إنّ مهمّة المعجم الثنائيّ هي شرح الكلمات التي قد تعترضك أثناء قراءاتك في اللغة الأجنبيّة.

ولقد كان تركيز المعاجم الثنائيّة سواء في ذلك العربية وغير العربيّة، حتى ما قبل الحرب العالميّة الثانية، منصبّا على فهم لغة المداخل، أي على استيعاب لغة الأصل الأجنبيّ أكثر ممّا هو منصبٌّ على مقوّمات استخدام تلك اللّغة، تحدّثا وكتابة. وبفضل الاكتشافات المذهلة الراديويّة والالكترونيّة، صار العالم اليوم قرية صغيرة أمام وسائل الاتّصال والعلاقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافية بين الأمم، وأصبحت الحاجة تدعو إلى معاجم ثنائيّة تساعد المستخدم على التعبير عن نفسه والتواصل بشكل مُرْضٍ باللّغة الأجنبيّة مع المجتمعات الناطقة بها كتابة وحديثا. وهذا لا يتحقق دون أن يعطي المعجم للمدخل الأجنبيّ، إضافة إلى المقابل والشرح، معلومات حول طريقة نطقه وبنيته الصّرفيّة والنّحوية ودلالاته الفعليّة والمجازيّة ومستواه الاجتماعيّ واستعمالاته الاصطلاحيّة مع شواهد وأمثلة تساعد المراجع على استخدام الكلمة بالشكل الصحيح في تلك اللّغة (8).

وإذا استعرض باحث لغويّ معاجمنا الثنائية اللّغويّة المختلفة، منذ عصر النّهضة، وهي تقارب مئتين وخمسين معجما، فإنّ المعاجم التي تنطبق عليها هذه المواصفات لا تكاد تتجاوز أصابع اليدين، جلّها من إصدارات العقدين الماضيين.

3 - منطلقات المعجم الثّنائيّ اللغويّ :

تقنيًا، يفترض في مؤلّف المعجم الثّنائي أن يحدّد نقطتي انطلاق يتحدّد منهما مدى المعجم أفقيًا وعموديًا، أتّساعًا ومحتًوى، وطريقة معالجة. عليه أن يحدّدَ :

1 - لمن يؤلّف، أللمتكلّمي لغة المداخل - لغة المتن أو لغة الأصل وهي اللغة المترجم عنها (الانكليزية مثلا)، أم لمتكلمي لغة الشّرح، لغة الهدف، أي اللغة المترجم إليها (العربيّة

(8) يُراجع مثلا تعريف dictionary في معجم وبستر الدولي الثالث - "Webster's Third International Dictionary"

في بلاد العرب)؟.

فإن كان يؤلّف معجما إنكليزيا-عربيّا مثلا للناطقين باللغة الانكليزية، فلا داعي للتركيز على بنية المدخل الصرفية والنحوية وتبدّلاتها، ولا على طريقة لفظه وطرق استخدامه الاصطلاحيّة والمجازيّة؛ فهذه أمور يفترض أن القارئ الإنكليزيّ يعرفها. وإن كان لا يعرفها فإنه سيرجع إليها في معجم أحاديّ بلغته. بل يكون التركيز على المرادف أو المرادفات العربيّة المقابلة ودلالاتها والسّياقات التي يمكن أن تقع فيها والترتيب التتابعي الذي تقع فيه هذه المرادفات في الجملة العربية وحروف الجرّ التي تحكمها، ويكون كلّ ذلك معزّزا بالأمثلة والشّواهد بلغة تتراوح بين المبسّطة والأدبيّة تبعا لمستوى معرفة المُراجع بالعربيّة.

والعكس صحيح إذا كان المعجم يؤلّف للناطقين باللغة العربيّة. فالتركيز حينئذ على طريقة نطق المدخل وتبدّلاته الصّرفية ضروريٌّ، وكذلك تبيان مرادفاته ودلالاتها الحقيقيّة والمجازيّة، ومجالات استخدامها وسياقاتها في شواهد وأمثلة ممّا يستعمله أهل اللغة نفسها. وأحيانا ينبغي تحديد المستوى الاجتماعيّ للمدخل من حيث هو فصيح أو شاعريّ أو سوقيّ عاميٌّ أو محظور.

2 - لماذا يؤلّف، ألاستيعاب لغة المدخل -اللّغة الأجنبيّة، أم للتعبير بها؟

فالاستيعاب، إضافة إلى معظم ما بيّناه سالفا، يتحقق بالقدر الأعظم من المداخل التي يغطّيها المعجم. فمعاجم الاستيعاب هي إجمالا معاجم ترجمة تزيد قيمتها، مع ضمان الدّقة والجودة طبعا، بزيادة عدد مداخلها ؛ وهذا إجمالا هو الإطار الذي لا تزال معاجمنا الثنائية تدور فيه، وأحيانا كثيرة تقيّم به.

أمّا إذا اختار المؤلّفُ الهدف الثاني، أي أن يكون معجمه عاملا مساعدا فاعلا للتعبير باللغة الأجنبيّة، فعليه حينئذ أن يحدّد المداخل الشائعة في تلك اللغة ليضمّنها معجمه. فمن مئات آلاف الكلمات الإنكليزية، هنالك بضعة الاف صارت محدّدة اليوم، يمكن لمن يتقنها، معرفة واستعمالا، أن يعبّر عن نفسه فيها ويتواصل بسهولة مع الناطقين بها. فباقتصار محتوى معجم التعبير أفقيّا على تلك المداخل ذات الطبيعة العامة الشائعة الشاملة، يتسنّى للمؤلف التوسّع عموديّا بإيراد كافّة المعلومات الصرفية واللفظية والدلالية مع الشواهد والأمثلة بلغة الهدف، الكفيلة بتمكين المراجع من استعمال هذه الكلمات استعمالا صحيحا. وقد يقتضي هذا التوسّع أحيانا إيراد المرادف والنقيض وصيغ التفاضل أو الإحالة إليها. كما يفسح المجال أيضا لاستخدام الصّور والرّسوم لإيضاح

الدلالات التي يصعب تحديدها بالكلمات .

وهناك شبه إجماع بين جماعة المعجميّين اللغويين على أنّ مداخل المعجم الثنائي للناطقين بالعربيّة، أي لغة المتن فيه، ينبغي أن تكون باللّغة الأجنبيّة في معاجم الاستيعاب والفهم والترجمة، بينما تكون العربية لغة المداخل في معاجم التعبير والإنتاج.

إنّ الألفاظ في مختلف اللغات تتخذ أوضاعا وأشكالا ومواقع شتّى قد تتوافق وقد لا تتوافق مع مثيلاتها في لغة أخرى. فالصفة في العربيّة تطابق الموصوف جنسا (مذكّرا أو مؤنثا) وعددا (مفردا أو جمعا) وتتبعه ؛ بينما الصفة في الإنكليزية جامدة شكلا لا تطابق الموصوف، لكنّها تسبقه. وهي وإن كانت لا تطابق الموصوف فإن بعضها يختصّ بجنس دون آخر اصطلاحيّا.

فمقابل «جميل» مثلا تقول beautiful أو pretty إذا وصفت الأنثى أو الإناث، أمّا جنس المذكّر فتقول فيه handsome للشاب أو الرجال. والناطق بالانكليزية لا يصف البناء القديم بأنه elderly، ولا المتقدّم في السّن بأنه antique، فالعكس هو الصحيح، وإن صحّتْ في وصف كليهما الصفة old.

وإن صح وصفك الطريق أو الشجرة في العربيّة بأنّها : شجرة طويلة وطريق طويل أو طويلة، فإن الوصف المرادف يقتضي لفظين مختلفين في الانكليزية، واحدا لما هو طويل امتداداً أفقيّا مثل long road وlong rope وآخر لما هو طويل امتداداً عموديّا مثل tall tree وtall person. وما يقال عن الصفات يقال مثله أو بعضه عن الأفعال والأسماء والضمائر، ولا بدّ لضبطه في اللغة المقابلة من شرح وتمثيل.

ولعّلي أقدّم بعض أمثلة أخرى.

إذا ما اعترضني أحد الألفاظ الانكليزية التالية : demand, request, claim, order, search, quest (9) في نصّ أقرأه أو أترجمه، فإنّي أجد في معظم المعاجم الانكليزية العربية لفظا أو ألفاظا تفيد معنى «الطّلب» فيها، اسمًا أو فعلا.

---

(9) المعجم الانكليزي- العربي يورد :

لـ demand يطلب، يطالب، يتطلّب. طلب، مطلب؛

ولـ claim يطالب، يتطلّب. مُطالبة ؛

ولـ quest يطلب، يتلمّس (بحثا عن). مطلب ؛

ولـ order يأمر، يطلب. أمر، طلب ؛

ولـ request يطلب، يلتمس. طلب، مطلب، التماس ؛

ولـ sarch بحث، تفتيش ؛

ولـ in - of بحثا عن، في طلب.

ومن سياق النّص الانكليزي يمكنني بسهولة استيعاب المقصود من مفهوم «الطلب» في مثل الجمل التالية :

The **demand** for radios and television sets is increasing.

الطلب على . . .

His **request** was granted, or
Catalogues of our books will be sent on **request**.

طلبُه . . . ، أو عند الطلب

Every citizen in a democratic country may **claim** the protection of the law.

يطلب . . . أو يطالب

He sent an **order** to Beirut for some books.

طَلَبَ

He is going to Abu Dhabi in **search** of a job.

في طلب، بحثا عن

لكنْ ماذا لو استعملت هذه الكلماتِ للتعبير بالإنكليزية، حديثا أو كتابةً، فأقول :

The request for radios and TV sets is increasing.
or Catalogues of our books will be sent on claim.
or Evry citizen.... may order or quest the protection of the law.
or He is going to Abu Dhabi in *or* on demand of a job.

وكُلُّها تعابيرُ لا يقولُها الانكليز ولا يستسيغونها؟

المعجمُ التعبيري لا يكتفي بإعطاء مرادف لـ «طلبٌ» أو «طلبَ» بل يُحَدّدُ لها أيضًا السّياق الصحيح واختلاف المعنى، بحيثُ يعبِّر المراجع باللفظ الصحيح عن المفهوم المراد التعبيرُ عنه بدقّة مقبولة لا يشمئزّ منها الناطقون بتلك اللغة. ولعلّ ممّا يُعزّز ذلك إيراد التواضعات المتعارفة المقابلة للّفظ الانكليزي أو العربيّ في سياق صحيح.

(1) فيقال مثلا في معجم انكيزي - عربي

(أ) مع كلمة bad :

~ breath	نتن أو كريه (للنّفس)
~ coin	زائف (لقطعة نقود)
~ debt	هالك - لا أمل في سداده (للدّيْن)
~ egg (or food)	فاسد (للبيض أو للطعام)

سيّء السُّمعة (للشخص)	~ name
(ب) ومع لفظة marginal يقال :	
حدّي أو محدود (للتأثير)	~ effect
حدّي أو محدود (للجدارة)	~ ability
حدّي : أجرُه يكادُ يعادل إنتاجه	~ worker
حدّي : قريب من الحدّ الأدنى (للرّبح)	~ profit
حافّي : قريب من الحافة (لجزء من الشيء)	~ part
هامشيّ : على الحاشية أو الهوامش	~ noted
(ج) ومع naked يقال :	
عارٍ : من الثياب، أو الأثاث	~ child, ~ room
(عارِي الرأس أو القدمين) : أنظر- bare	
مكشوف	~ light
صريح	~ truth
مُجَرَّد : غير مُعان بمكبّر	~ eye
مسلول : غير مُغْمَد	~ sword
(2) وبالمُقابل في معجم عربي - انكليزي	
(أ) يُقال مع «سليم» :	
good للذوق	~ taste
وَ sound أو healthy للجسم	~ body
sound أو sane للعقل أو الفكر	~ mind, ~ thinking
وَ flawless للأداء (خطابةً أو غناءً)	~ diction
وَ proper للتصرّف	~ behaviour
وَ safe للعاقبة أو النتيجة	~ outcome
(ب) ويقال مع «كثيف» :	
dense للضباب أو للحرجة أو للفلزّ	~ fog, ~ jungle ~ metal
و thick للغيوم (والضباب أيضًا) أو الرُّبّ	~ clouds (or ~ fog), ~ syrup

وَ heavy لحركة السّير أو للغيوم أيضًا ~ traffic, ~ clouds

وَ intense للّون ~ colour

(ج) وفي «معاش» يُميَّزُ :

مفهوم «العيش» منها بـ earn a living في يكسب عيشه،

ومفهوم «الرّاتب» بـ cash a salary في يقبض الراتب،

ويحدّد مفهوم «معاش التقاعد» بـ pension.

إنّ مثل هذه المعالجة يجعل من العسير جداً أن يجتمع معجم الاستيعاب ومعجم التعبير للناطقين بكلتا اللغتين في مؤلّف واحد.

وكاختبار تطبيقيّ تقصّيتُ لفظة «شَبَكَ» في قاموسين كلاهما عربيّ - انكليزي، وكلاهما حديث جداً. أحدهما يستهدف الناطقين بالانكليزيّة، فيكتفي بمعالجة حوالى 4000 كلمة جمعها بعض أساتذة اللغة، في جامعة متشغان، باعتبارها الأكثر انتشاراً في اللغة العربيّة الفصحى الشائعة، والتي يمكن للأجنبيّ الذي يتقنها التعبير والتواصل بهذه اللغة:

مقابل «شَبَكَ» يقول هذا المعجم :

شبك يشبُكُ شَبْك interlock

«شبك الأطفال أياديهم وهم يغنّون الأغنية الجديدة»

تَشَابَكَ يَتَشَابَكُ تَشَابُك to be **interlocked**

«تشابكَتْ أيديهمْ وهم يُنْشِدُون النشيدَ الوطني»

اشتبك يَشْتَبِكُ اشتباك to be **engaged**

«حدثَ اشتِباكٌ مُسَلَّحٌ بينَ البوليس وأفراد العصابَة».

ويلاحظ في هذا العمل الإقلال الواضح من الكلمات الانكليزية لتركيز الإنتباه (لا على المقابل الانكليزي بل) على اللفظ العربي - فيرد الفعل، ماضيه ومضارعه ومصدره مشكولة مع أمثلة حول استخدامها في سياق صحيح. وواضح أنّ المولف (أو المؤلفين) يعتمدون على معرفة الطالب وخبرته في اللّغة الانكليزية، فيلحقون له بالمعجم مسرداً بالعبارات والكلمات الانكليزية محالة إلى صفحات المعجم، لمساعدته على التفتيش، في المعجم ذاته، عن العبارات العربية التي يَبْتغيها.

في المقابل طَلبتُ لفظةَ «شبَك» في قاموس عربي - انكليزيّ يستغرقُ اللغةَ العربيَّةَ

المعاصرة والكلاسيكيّة، فوجدتُ مقابلها : «انظر : شابك».

وفي «شابك» وجدتُ المُرادفات التالية :

to interlace, interlock, intertwist, interwine, twine, entwine, interweave, knit, mesh, snarl, tangle, lattice, reticulate, clasp, buckle, fasten, attach, join, link, connect.

وهذا يعْني أنّه يُفْترضُ في المراجع، وأتصور أنّه من الناطقين باللغة العربيّة، أن يستعرض المقابلات الأجنبيّة العشرين المذكورة مقابل اللفظة العربيّة، وأن يتفّهم كلّ هذه المقابلات المتشابهة عموما، والمتباينة ظلالا وسياقات، ثمّ أن يختار اللفظ الإنكليزيّ الموافق للمعنى في السّياق الذي يريده. وهذا لعمري لن يتسنّى له إلا إذا كان متضلّعا من اللغة الإنكليزيّة كأحد أبنائها.

في منظوري أنّ معالجة كهذه قد تفيد الناطقين بلغة الهدف -أي لغة الشّرح- الذين يعرفون هذه المقابلات، والسّياقات التي يستخدم كلّ منها فيها. وفي هذه الحال، لا داعي لكل هذه المرادفات، لأنّ بعضا منها فقط كاف لاستيعاب المفهوم العامّ للّفظ العربيّ.

إنّ معالجة مفردات اللغة، أيّ لغة، أفعالها وصفاتها وأسمائها في معجم ثنائيّ يكون استيعابيّا وتعبيريّا وشاملا، للنّاطقين بكلتا اللغتين هو أمر متعذّر وقد أقول غير عمليّ؛ فعلى المؤلّف أن يختار ماذا يؤلّف، ولمن يؤلّف.

واللافت أنّك قلّما تجد معجما ثنائيّا انكليزيّا عربيّا لا يزكّيه مولّفه بأنّه يلبّي احتياجات الناطقين باللغتين، استيعابا وتعبيرا؛ حتّى المؤلّف منها خصّيصا للناطقين بالعربيّة يزكّيه مؤلّفه بأنّ الناطقين باللغة الانكليزية الذين هم على قدر من الإلمام بالعربية سيجدون فيه من الفائدة ما لا يجدونه في سواه.

4 - المعاجم الثنائيّة المتخصّصة :

المعاجم المتخصّصة كما هو واضحٌ من تسميتها، وكما أسلفنا، هي التي تعالج قطاعا معيّنا أو فرعا من قطاع معيّن في ميادين المعرفة، كمعاجم الطبّ والفيزياء والهندسة أو أحد فروعها. وهذه المعاجمُ إنْ كانت طارئة على العربيّة في شكلها الثّنائيّ أو المتعدّد اللغات، فإن العربيّة عرفتها منذ قرون عديدة، فكان منها :

«الاعتمادُ في الأدوية المفردة» لابن الجزّار القيرواني (979م)؛

و«مفاتيح العلوم» للخوارزمي (997م)؛

و«الأدوية المفردة» للغافقي (1165م)؛
و«مفردات» ابن البيطار» (1248م)؛
و«حياة الحيوان» للدَّميري (1405م)؛
و«التعريفات» للجرجاني (1413)؛
و«كلّيات» أبي البقاء (1682)؛
و«كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانَوي (1745).

بل إن معظم هذه المعاجم العربيّة المتخصّصة قد ترجم إلى اللاتينيّة ثمّ إلى أكثر من لغة أوربيّة.

لقد عرفت اللغة العربيّة المعاجم الثنائيّة المتخصّصة مع بدايات عصر النهضة، وتسارع صدور هذه المعجمات في العقود التي تلت، حتّى فاق عددها، في أواسط الثمانينيّات، المئتين وخمسين عدّا. لقد قفزت المجتمعات العربيّة في بضعة عقود إلى تمدّن فجائي أشبه بالطّفرة، بفضْل فنون العلم ومنجزات الصّناعة والتكنولوجية والانفتاح التّجاري وسهولة المواصلات. فأغرقتنا مستوردات الحضارة الحديثة دون أن نعرف أسرارها، بل دون أن ندري كيف نسمّيها أو نعبّر عنها. وحفز هذا الوضع الحريصين على أن تواكب اللغة العربيّة هذا التحوّل إلى العمل الجدّيّ لتوفير هذه المسمّيات، فتتبّعوها في معاجم اللغات الأجنبيّة التي حصرت هذه المصطلحات في كلّ فرع، وبخاصة تلك التي تشتمل على المصطلح الأجنبي وعلى تعريف دقيق له، ممّا ييسّر وضع اللفظ العربيّ المقابل (وشرحه أحيانا). فترجموا وألّفوا واشتقّوا وأحيوا الكثير من المصطلحات التراثيّة التي وضعها السلف، وصاغوا بشتّى وسائل الصياغة من مجاز وتركيب ونحت وتعريب، مصطلحات ومسمّيات وألفاظا ردمت الهوّة أو تكاد بين اللغة العربية ومعارف العصر وتقَناته.

وكان في طليعة الحريصين على إعادة هذا التواصل مجامعنا في بغداد ودمشق وعمّان والرباط وتونس، وشيخها مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي كان له الفضل الأكبر، لا في دعم العربيّة بعدّة معاجم عصريّة وقرابة خمسين ألفا من مصطلحات العلوم المختلفة، بل أيضا بمنهجيّة فاعلة متطوّرة حول صوغ المصطلحات لمجاراة ركب الحضارة المستمرّ. ولا يغيبنّ عن البال جهود اللغويين الأعلام في هذا المجال من أمثال بطرس

البستاني وأحمد فارس الشدياق وأنستاس الكرملي ويعقوب صروف، ولا جهود المعجميّين من أمثال خليل سعادة ومحمد شرف وأمين المعلوف ومصطفى الشهابي ومرشد خاطر وأحمد حمدي الخيّاط ومحمد صلاح الدين الكواكبي وجميل صليبا وعشرات غيرهم. فبجهود كلّ هؤلاء تجمّعت للعربيّة ثروة أثبتت أنّها قادرة على تأدية الرّسالة العلميّة والحضاريّة بدقة وضبط، كما أدّتها من قبل، أيام كان المتشوّقون إلى العلم من طلاّب الإفرنج يتابعون العلم في الجامعات العربية متخفّين بزيّ الدراويش .

5 - معوّقات المعجم الثّنائي العربي ومشاكله :

إحدى معوّقات المعجم الثّنائي العربي وصعوباته هي عدم توافر المقابلات المتطابقة دائما، وهي من المعوّقات التي تواجه المعجم الثنائيّ عموما- أيّ معجم ثنائي.

نعم، هناك كلمات لها في مختلف اللغات مدلولٌ واحدٌ لا تكاد دلالته تختلف؛ وهذه غالبا تتعلّق بحاجات الإنسان المعيشيّة كالخبز والملح والماء والبيت، أو بمداركه الفطريّة كالحبّ والكراهية والعداوة والكرم والبخل، أو بمشاهد الكون العامّة كالرّيح والمطر والحرّ والبرد والعواصف والبرْق والرّعد .

لكنْ هنالك أيضا ألفاظ يختلف مدلولها باختلاف السّياق أو باختلاف المفهوم الخاصّ بقطر أو أمّة أو زمن، وفق ما اختصّت به طبيعة ذلك القطر أو عادات الأمّة وتقاليدها.

السّياق مثلا يغيّر مرادف الصّفة الانكليزية «live» :

من نَشط (للشخص)	~ person
إلى مُستَعِر (للفحم)	~ coal
إلى زَاه (للّون)	~ colour
إلى مكهرب (للسّلك)	~ wire
إلى حيّ (للذخيرة)	~ ammunition
إلى خام (للزّيت)	~ oil
إلى دوّار (للمحور)	~ axle
الى مباشر (للبثّ الإذاعي)	~ transmission
إلى مهم، آني الأهمية (للموضوع)	~ subject

إلى «في اللعب» (للكرة في مباراة) ~ ball

إلى مفرط الصَّدَويَّة (للغرفة) ~ room

وهنالك سياقات أخر، على مؤلف المعجم الانكليزي - العربي أن يأخذها بالاعتبار. والعكس أيضا صحيح في معجم عربي - إنكليزي، فالسّياق مثلا يُغيّر مرادف «الضّرْب» اسما أو فعلا بالعربية من :

ضرب (بالعصا) hit *or* strike

إلى ضرَب القلب throb, *or* beat

إلى ضرْب النقود mint

إلى ضربت العقرب sting

إلى ضَرَب العودَ play

إلى ضربَ الباب knock

إلى ضرب الخيمة pitch

إلى ضرَب مثلا give (an example)

أو ضربَ إلى (الحُمْرة) shade into (red)

أو ضربَ العَددَ multiply

وضَرَبَ الشيءَ بالشيء mix

وضرَبَ الجزية impose

و ضرَبَ بسَهم participate

وضربَ عنقَه beheadl

وضرب الرقم القياسي break (a record)

وضرب موعداً fix (a date)

وضربَ في الأرض fix (adate)travel

وضربَ صفحًا عن disregard

وغيرُها كثير. وذلك يعني أن اللفظَ يتحدّد مقابله بالسّياق، لا بالمبنى. كذلك فإنّ للمفهوم الثّقافيّ التقليديّ وطبيعة اللغة نصيبًا في تحديد المُرادف. فحينما نقول بالعربية : جريء أو مقدام أو جسور، لا يخطرُ ببالنا أن هذا الوصف قد يحمل أيضا معنى «الوقاحة» و«التطاولُ» و«الجلاحة» الذي يحمله اللفظ الانكليزيُّ المرادف «bold»، وحينما تجد

موصوف هذه الصفة «بالانكليزية» لونًا أو أوراقًا أو صخرةً في bold colour أو bold leaves أو bold cliff فلعلّك لا تجد لمثل هذا السّياق مرادفا في معجمك الإنكيلزي - العربي، وتضطرّ بالتالي إلى مراجعة معلوماتك البلاغيّة لإعطاء المرادف العربيّ المقابل، كأن تقول : لونٌ فاقع أو صارخ، أو أوراق شامخة أو مشرئبة، أو جُرفٌ قائمٌ أو شديد الانحدار . . . الخ.

وقد تضطرّ الى تغيير التعبير في لغة إلى مايشبه نقيضه في لغة أخرى لتؤدّي معناه الصحيح.

ففي «أثلجَ صدري»، لا يصحّ أن يكون المرادف It iced my chest. بل قد تقول It warmed my heart, - دفّأ قلبي، فالبرودة في الصّدر يجعلها مناخ الصّحراء محبّبةً، كما أنّ الدّفءَ محبّبٌ في المناخات الباردة.

ولا أدري لماذا يقول العرب : نضرب الخيام إذ ينصبونها، بينما يقول الإنكليز «نضرب المخيّم» to strike camp إذا قوّضوه ورحلوا عنه.

هذا مع العلم أنّك أحيانا تجد للّفظ في لغة من المرادفات في الأخرى ما لا حصر له، فتحتار في اختيار المرادف الأدقّ من ذلك «مطّرد» في العربيّة مثلاً، وهي صفة لما هو متتابع (بانتظام خاصّة) أو متسلسلٌ (مع استمراريّة). فأيّا من الألفاظ الإنكليزية الثمانيّة التالية تختار مرادفا لها : incessant, uninterrupted, regular, steady, constant, continual, continuous, unvarying ؟ ، وكلّها - وإن قاربت المعنى - لا تَستَغرقهُ تمامًا.

فالعربُ تجعل لكلّ ساعة من ساعات النهار والليل (10) اسمًا لا تجده في الانكليزية إلاّ لبعضها. وفي المقابل تجد في الانكليزية أسماء متعددة للفحم وأنواعه وصفاته لا تعرفها العربية الاّ ترجمة أو تعريبا (11).

أضف إلى ما سبق أنّ اللسانيّين وبعض اللّغويين لا يعترفون أصلا بوجود المرادف المكافىء، لا ضمن اللغة نفسها، ولا بين اللّغات. ويصرّون على أنّ المرادفات حتّى في اللغة نفسها ليست مترادفةً تماما بالمعنى نفسه.

---

(10) ساعاتُ النهار : الذرور والبُزوغ والضُّحى والغزالة والهاجرة والزوال والدّلوك والعصر والأصيل والصّبوب والحدود والغروب؛ وساعات الليل : الشاهد والغسق والعتمة والفحمة والموهن والقطع والجوشن والعبكة والتباشير والفجر والمعترض والأسفار.

(11) من أسماء الفحم وأنواعه في الانكليزية : charcoal; coke; coal; peat; cannel; slack; brazil; anthracite; culm; lignite . أما أصنافه وأسماؤه الموصوفة فتعدُّ بالعشرات.

ومجال الاستطراد في هذا الباب واسع نتركه للّغويّين، ولا أدّعي أنني منهم. وأتحوّل إلى معوّقات لا تتّصل باللغة أو اللغتين في المعجم بل بالأسلوب والدّقة والمستوى الذي يوضع فيه المعجم، وهي معوّقات كنت أودّ تحاشيها لولا أنّها قضيّة أساسيّة في مبحث المعجم، أيّ معجم كان، ثنائيّ اللّغة أو أحاديّها، عامّا كان أو متخصّصًا، وسأتجنّب ذكر الأسماء ؛ فالمهم هو الفكرة المعبّر عنها في المثال، وليس المثال نفسه، ولا أين يرد.

ففي غمرة الطّلب المتزايد على المعاجم الثّنائية (الانكليزية- العربيّة بخاصّة) خلال ربع القرن الماضي، صدر الكثير من هذه المعاجم عامّا ومتخصّصًا. وحالف التوفيق بعض هذه الأعمال، ولم يحالف بعضها الآخر لأسباب متفاوتة : منها فقدان الوعي المصطلحي، والجهل بالتّقنيّات المعجميّة، وعدم التضلّع من إحدى اللغتين أو من مادّة العلم الذي يمعجم فيه.

أحيانًا يكون المؤلّف أو المؤلفون على مستوًى رفيع جدّا من حيث لغتا الأصل والهدف في المعجم، لكنّهم لا يهتمّون بإيراد المصطلح.

فيُقال مثلا في مادة explicit function : تَابعٌ رياضي (في الرياضيات) يحتوي على كميّات متغيّرة متبوعة لا غير (ويمكن إيجاد القيم مباشرةً)، ولا يقال «دالّة صريحة».

أو يُقال في مادة absorption coefficient : مقياسُ معدّل التناقص في شدّة الإشعاع الكهربائي المغنطيسي في أثناء المرور من مادة معينة، ولا يقال «مُعامل الامتصاص».

أو يقال في مادة algorithm : منوالٌ (أو طريقةٌ خاصة) يتّبع لحلّ بعض المسائل أو المشاكل (ولا سيّما إيجاد القاسم المشترك الأعظم)، ولا يُقال «خوارزْميَّة».

ويُقال في مادة alternator : مولّدٌ كهربائي يُولّد تياراً كهربائيًا متناوبًا، ولا يُقال «مُنَوِّب».

وأحيانًا يخلط العاملون على المعجم أو أحدُهم بين مصطلحين قد يصحّان في سياق مختلف، فيترجمُ لفظُ reaction، في سياق التفاعل الكيماوي بين حامض وكحول، بتعبير «ردّ الفعل»، وهو تعبير صحيحٌ في مقابل «reaction» في سياق الفيزياء وقانون نيوتن الثالث.

أو يقال في ترجمة fusion «انصهار» في سياق nuclear fusion «الاندماج النووي». ولفظ «انصهار» صحيحٌ في سياق مبحث الحرارة وانصهار الجليد fusion of ice وشتّان بين المفهومين. أو يقال «استثمار» مقابل investment في سياق الأحْدَاق أو التغليف في investment casting وهو ضربٌ من أشكال الصَّبِّ يُحْدَقُ فيه قالبٌ رملي بنموذج المصبوبة من الشّمع، يسمّى أيضا «السّبكُ بطريقة الشمع المُتبدّد».

أو يقال «صقل» في مقابل smoothing في سياق smoothing a direct current وهو «تسليس» «أو تسوية» التّيار المستمر أي تمهيد الارتجاج والترجُّح في فُلطيَّته.

أو يعرّب مصطلح مثل codan بلفظ «مكواد» ظنّا أنّ للمصطلح عَلاقةً بـ code «الرمز». والصحيحُ أنه «كُودان» : مجموعة أوائليات الكلمة Carrier - Operated Device Anti-Noise؛ ويمكن شرحه بـ«مضائلة تشويش تشغّلها الموْجةُ الناقلة».

وأحيانًا قد يكون المؤلّفُ مؤهّلا لغويًا وملمًا بالمادة التي يعجم فيها، لكن تنقصه المنهجيّة المصطلحيّة وتقنياتها المعجميّة.

لقد أضحى علم المصطلح والمعجميّة اليوم دراسةً تخصّصيّة تتطلّب إلى جانب المعرفة الدقيقة بلغتي التعامل - لغتي المتن (أو الأصل) والهدف - فهمًا شاملاً واطّلاعًا كافيًا يضعان المعجميّ أو المصطلحيّ في جوّ المادة المراد المعجمة أو وضع المصطلحات فيها. ويتخلّلُ هذه الدراسة تطبيقات تقانيّة يطّلع فيها المتدرّب على التّراث المصطلحيّ عامّة، ويتعرّفُ المشهورَ منه في مجال اختصاصه، على الأقل؛ فتكون هذه المعرفة مادّةً لاستيعاب اللفظ أو المصطلح الجديد ومعالجته بالدّقة والعمق المطلوبيْن وبالنّسق والمنهجيّة الملائمين.

وقد سبقتنا الجامعاتُ في الغرب والشّرق في هذا المجال فاستحدثت مساقات تخرّجيّةً وبعد تخرّجيّة، تدمج اختصاص الدارس اللّغويّ أو العلميّ أو الفنيّ مع تدريبه على العمل في الوقت ذاته كمترجم ومصطلحي ومعجميّ في حقل تخصّصه. وقد عرض علينا في دائرة المعاجم بمكتبة لبنان عدّةُ مشاريعَ معجميّة انكليزية- عربية كانَ واضعوها قد تقدّمُوا بها، كأطروحات مصطلحيّة أو معجميّة تطبيقية ثنائيّة اللغة، مؤهّلة لدرجات الماجستير أو الدكتوراة في جامعات أجنبية. وقد سرّني معرفةُ أنّ بعض جامعاتنا في المغرب العربيّ بدأت فعلا بتطبيق مثل هذه المساقات مؤخّرًا.

وأحيانًا نستشفُّ بأسًى، من استعراض المعجم الثنائيّ اللغة، عدم تضلّع المُؤلّفِ من

إحدى اللُّغتين، فيسخّر لغةً ثالثةً للتوصُّل إلى مبتغاه.

أذكر مرّةً أنّ مولّفًا حمل إليّ مشروع معجم ثنائي، تركيّ - عربي، مبرّرًا المشروع بأنّ آلاف الطّلاب العرب الذين يدرسون في تركيّا يتلهّفون إلى مثل ذاك المعجم. فطلبتُ إليه أن يترُكَ لي نسخًا ضوئيةً عن المخطوطة لأعرضها على خبير في اللغة التركيّة ؛ وحدّدتُ له موعدًا يعودُ فيه لمراجعتي. ولمّا اقتربَ موعدي مع المُؤلّف، ولمّا أوفّقْ بإيجاد الخبير التّركي، استعنت الله وأخذْتُ أقارن مقابلات موادّ المعجم العربيّ على معجم تركي - انكليزي، وسجّلتُ بعضَ المُلاحظات على عدّةِ ترجماتٍ وجدْتُها تباينُ المفهومَ الذي يُعطيه المُرادفُ الانكليزيّ.

وحين حضر المؤلّفُ، رحتُ أناقشُه في دقّة التّرجمة العربيّة، مقابل موادّها التركيّة. وما أن انتهيْتُ حتى قال لي حضرتُه : لماذا لا تشاركُني في هذا المُعجم، تُراجعُه وتنشُره. وإذا بحضرته لا يعرفُ التركيّةَ ؛ ومُرادفاته كلّها ترجمةٌ عن الفرنسيّة من معجم تُركي-فرنسي !

زميلٌ آخرُ كنْتُ أعرفُ له عدّةَ معاجمَ ثنائية فرنسيّة - عربيّة، قابلتُه صدْفةً ذات مساء في مكتبة لبنان أوائل الحرب المشؤومة، فناولني معجمًا إنكليزيًّا- عربيًا من وضعه. فتحتُ المعجم عشْوائيًا، فإذا بي أمام المدخل stationery، أقرأ المُرادفات : ثابت أو ساكن أو مستقرّ، ثمّ علامة تغيّر المعنى، متبوعة بـ«قرطاسيّة» : أدوات الكتابَة من ورق وأقلام وخلافه. فنظَرْتُ إليه مستغربًا وقلت : المَفهومُ الثاني صحيح، أما المفهومُ الأوّل فإنّه ينتهي بـ «ary» لا بـ «ery». لكنّ صاحبنا أصرَّ على أن ما في المعجمِ صحيحٌ، وطلبَ أنْ أراهنه على صحّة ذلك.

وما هي إلاّ بضعةُ أيّام حتى جاء الأستاذُ إلى مكتَبي وبيَده المعجم، فبادرْتُه: جئتَ تدفعُ الرّهانَ الذي لم نتّفقْ عليه ! فقال : لا، البيك (صاحب المؤسسة) يرجوك أن تتصفّح المُعجم. مدْخَل stationery سنعدّله، وأنا لا أريد أكثر من أن يطْبع اسم مكتبة لبْنان على المُعجم. فقلْت: حبًّا وكرامة - لكنّي، أسوةً بالمرحوم انستاس الكرملي، لنْ أقرأ سوى صفحتين (12).

وفتحْتُ المعجمَ عشوائيًا على صفحتين أثرْتُ له فيهما سبعة عشَر اعتراضًا -

(12) المرحوم أنستاس الكَرملي نقدَ أحَد المعاجم فلم يكُنْ راضيًا عنه كلَّ الرضى بعد قراءَة صفحةٍ واحدة فقط منه.

بعضُها أخطاءٌ جسيمة !

وشاهدي الأخير في هذا المجال أقتبسُه من مجلة اللسان العربي (13) التي يُصدرها مكتب تنسيق التعريب، جاءَ على شكلِ كتاب من الناقد إلى رئيس التحرير حول مصطلحات نشرتْ في المجلة كمشروع مُعجم.

يقولُ الاستاذ الناقد :

« أرفقُ فيما يلي هذه الأخطاء مع تصحيحاتها لتدارك عدم الدّقة في التّرجمة والمُصْطَلَح المُقابِل، حيثُ إنّ الناسَ عادةً يقرأون هذه المُصطلحات على أساس أنّها معدّةٌ من قبل أناس لا يُخطئون (والكَمالُ لله وحدَهُ طبعًا)».

وسأكتفي هنا بقراءَة بَعْضِ هذه التصحيحات بادئًا بالمُصطلح الانكليزي ثم المصطلح العربي المذكور ثمّ تصحيح الترجمة :

المصطلح الانكيزي	المقابل العربي المذكور	المقابل المصحّح
absurdity	مُحال	سُخْف، شيءٌ سخيف أو مُنافٍ للعقل
adequation (يقصد adequacy)	مطابقة	كفاية أو وفاءٌ بالمُراد
additive	ضمّ، مضموم	جمعي، إضافي
adult	كهل	بالغ، راشد
aptitude	استعداد، مؤهّل	استعداد، أهليَّة، قابليَّة
intercepting	التقاط	اعتراض، حصْر
combination	توافق	ضمّ، اتحاد، توافُقيّة
decode	كشَفَ عن	يحُلُّ الشَّفرة
frustring (يقصد frustrating)	كابت	مُحبِط، مُثبِط للهمّة
no-hypothesis (يقصد null hypothesis)	فرضية لاغيَة	فَرْضٌ صِفْري
pronounced	بَـادٍ	واضح، صَريح، قاطِع

أمّا المصطلحات التالية فيكتفي الناقد بتصحيح نَصِّها الانكليزي :

TV shut-circuit	دارة تلفزيونية مغلقة
(يقصد closed circuit)	
teached	مُتَعَلَّم
(يقصد taught)	
handicapated	مُعاق
(يقصد handicapped)	
no securized	غير مطمئن
(يقصد insecure)	
question at multiple	سؤَال مُتعَدِّد الاختيار
(يقصد multiple- choice question)	
inquiry	استبيان، استمارة أسئلة
(يقصد questionnaire)	
scientificity	
(يقصد scientism)	
under group	
(يقصد sub-group)	

واضحٌ طبعًا أنّ الأستاذَ واضعَ المشروع المعجمي قد ترجم مصطلحاته الإنكليزيّةَ والعربيّة عن مصطلحاتٍ فرنسيّة، وواضحٌ أنّ معرفته بالإنكليزية سطحيّة.

6 - معوّقات المَعاجم الثُّنائيَّة العربية المُتخصّصة :

لا تختلفُ عن معوقات المعاجم الثّنائيَّة العامّة، لكنّها تزيد واحدةً تصلُ إلى حدِّ المُشكلة ؛ تلكَ هي قضيّةُ المصطلح العلميّ والفنّي والتّقنيّ. فقد جابهت العربيةُ فيضًا هائلاً من المصطلحات رافقتْ انفتاحنا على الغرب، أو على الأصح انفتاحَ الغرْب علينا، في مختلف المجالات العلمية والهندسيّة والاقتصادية والتقانيات وشتّى المهارات الفنّية، إضافةً إلى المستجدّاتِ من هذه المصطلحات التي هي في تزايد مستمرّ

وقد غدت هذه المصطلحات جزءاً مهمًّا من كلّ اللُّغات المُعاصرَة باعتبارها مفاتيح للمعرفة الإنسانية في شتى فروعها ووسيلةَ التفاهُم والتواصُل بين الناس في مختلف

الشؤون الحياتيّة والثقافيّة والعلميّة، حتّى إنّ الباحث ليستطيعُ قياسَ تقدُّمِ الأمّةِ حضاريًا بإحصاء مصطلحاتها في هذه المجالات.

إنّ بعضَ المشكلة في معاجمنا الثُّنائية المتخصّصة هو عدمُ توافُرِ المصطلح المُقابِل في العربيَّة، لغة الهَدف، لآلاف الألفاظ الأجنبيّة التي يحمل كُلٌّ منها فكرة أو مفهومًا أو مسمّى مُعيّنًا. وهذا في الواقع مشكلةٌ تَنوءُ بوطْأتها بدَرجاتٍ مُتفاوتة كلّ اللغات في الدّول الناميَة (ولفظُ النامية هُنا، كما لا يخفى على القارئ هو نوع من لطفِ التعبير euphemism).

نحنُ في العربيّة، وجدنا في ثراء لغتنا الواسع وفي تراثنا الفكريِّ والعلْمي المشهود رصيداً ضخما ساعدَ على إيجاد الكثير من المُصطلحات المُقابلة لذاك السيلِ من الألفاظَ التي جُوبْهنا، وما نزالُ نجابَهُ، بها. وهذا وضعٌ لم يتسَنَّ للكثير من الناطقينَ بِلُغاتٍ أخرى في دُول العالم الثالث.

أذْكُر للمقارَنة تجربةَ معلّمٍ تنزانيٍّ مع مُصطلح «الكثافة» في الفيزياء، وردَ في كتاب «التربية العلمية والتكنولوجية في التنميّة الوطنية»، وكنت ترجمته أوائل الثمانينيّات بتكليف من اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو. يقول الأستاذ : كان عليّ أن أشرح مفهومَ «الكثافة» density وليْسَ في لغتنا السواحليّة لفظٌ لهذا المفهوم. فطلبتُ من التلاميذ إحضار قطعٍ متساوية الحجْم من الخشب والطّين والفلّين والحديد، تَوَضَّحَ بالميزان أنّ ثقلها مختلف. فقرّرنا، الطلابُ وأنا، أنّ : الثّقْلَ «أوزيتو-بالسّواحلية» مختلف. وفي معالجتنا سبب هذا الاختلاف، علّله الطّلابُ بأن «الثّقْلَ» في الحديد «مرصوص»، وهذا الثّقلُ ليس عارضا ولا مضافا ولا طارئًا، بل أصيلاً في المادة. فخرجنا بمصطلح «أوزيتو واصيلي» - بالعربية «الثّقْل الأصيل». وهكذا أدخلنا إلى اللُّغة السّواحلية مصطلحًا جديداً.

الحمدُ لله أنّا لم نجابهْ سيل المصطلحات المتدفّقَ في ظروف المعلّم السّواحلي وواقعه؛ فقد أفاد الروّادُ ومن تبعهم من ذاك الرصيد الفكريِّ والعلميِّ في تراث العربيّة المجيد، ومن ثراء اللغة الواسع ومطواعيّتها الاشتقاقية الفذّة، وطوّروا منهجيّة تلخّصت بالمبادئ التالية :

1 : تحرّي لفظ عربيّ من التّراث يؤدّي معنى اللفظ الأجنبيّ أو يقاربه؛

2 : ترجمة اللفظ بمعناه إذا كان قابلا للتّرجمة، أو اشتقاق لفظ عربيّ بوسائل الاشتقاق والنحت أو المجاز، بحيث يضمّن اللفظ معنى جديدا؛

3 : تعريب الألفاظ الأجنبيّة العالميّة كأسماء العناصر الكيماوية الحديثة الاكتشاف أو الموضوعة تخليداً لعالمٍ أو مخترعٍ، أو المشتقّة من الجُذور اليونانيّة أو اللاتينيّة.

لقد أسهم في عمليّة وضع المصطلحات على المدى الطويل تراجمة ومؤلّفون وعلماء وإعلاميّون، في ترجماتهم أو كتاباتهم أو مؤلّفاتهم أو معاجمهم؛ عملوا منفردين أو متعاونين، بجهد ودافع شخصيّ أو في نطاق مؤسّساتٍ رسميّة أو غير رسميّة في أكثر من قطر عربيّ بما يشبه العمل المستقلّ، وترجموا عن مراجع مختلفة ولغات مختلفة وبأذواق مختلفة. فكانَ أن اختلفَ الكثيرُ من هذه المصطلحات من عالم إلى عالمٍ ومن مؤسّسة إلى مؤسسة ومن قطر إلى قطر، وكانَ بعضُ المشكلة الآخرُ مع المصطلحاتِ تعدّدها وتباينها.

فالمصطلح، من حيث تعريفه المعجميُّ ومفهومُه، لفظ يصطلح عليه أهل العلم أو الفَن كوسيلة يتمّ بها التفاهم والتواصل بينهم، وبينهم وبين الناس. وهذا يعني أنّ قيمةَ المصطلح لا تتحقّقُ بدقّته وحسن دلالته على مسمّاه فقط، بلْ أيضًا بالتقاء العلماء والطّلاب والناس عليه، والاعتراف العلميّ به والاجماع عليه، بحيث يصبح جزءاً من اللغة العلمية المشتركة. أمّا إن اختلَف المصطلح من باحث إلى باحث، ومن قطر إلى قطر فإنّه يسيءُ ولا شكّ إلى قُدرة اللغة العربيّة على أن تكون في صفِّ اللغات العلمية التكنولوجية العالميّة.

وأسمح لنفْسي هنا أيضًا باستطراد أذكّرُ فيه بالمُقارنة، أنّ أكاديميّة اللُّغة العبريّة في الوطن السليب، وقد نشأتْ قبل قيام الكيان الصّهيوني بعشرين عامًا، خلفًا لسالفتها «جماعة اللغة العبْرية» التي كان تأسيسُها قبل أن يدعو هرتسل إلى وطن قوميّ يهوديّ في فلسطين، تشرفُ على كلّ ما له علاقةٌ باللغة العبريّة، تأليفًا وترجمةً ومصطلحات، تقعّد كلّ شيء وتسمّي كلَّ شيءٍ، وتصوغُ كلّ شيء. وما تقرّه يصبح ملزما للجميع، في المدارس والجامعات والمصانع والمؤسّسات، وفي جميع وسائل الإعلام.

وهذه المقارنةُ ليست لإظهار نقطةَ ضعف بقدْر ما هي إبرازٌ لواقع يعمل حماة العربية منذ نشأة الحركة المجامعيّة في الوطن العربيِّ على تلافيه.

نعم، الاختلافُ المصطلحيُّ تلوّث مُضرٌّ، لسنا ننكرُه ولا نحن بغافلين عنه، لكنْ من الإنصاف نحو أمّتنا وأنفسنا القول إنّه كانَ النتيجة المنطقيّةَ والطبيعيّة لفترة التخلّف التي عاناها العرب ولغتهم، في ظلّ سلطات غريبة جائرة فرضت الجهل وخلقت الحواجزَ

الجغرافيـة والسّياسيةَ والثقـافية، وعزّزت التفرقة والنّـزعة الإقليميّة التي استمـرّت بقاياها بعد رحيل الأجنبي.

وأنا بهـذا لا أريد أن أقلّل من مـضاعـفات هذا التبـاين والتعـقـيدات الناتجـة عنه، بخاصّـة ونحن نتهـيّأ لعـصر المكننةوالحَـواسيب وبنوك المصطلـحات وشبكات المعـلومات العالمية، ولكني أحذّرُ من التضخيم المُيَئّس الذي يصدر من بعض الجهات أو الأشخاص عن حسن نيّةٍ فيستغلّه آخرون لأغراضٍ لا تخدُمُ قـضيّةَ اللغةِ العربية ولا مُستقبل الوطن العربي.

إنّ عوامل توحـيد المصطلحـات قائمـة على قدم وسـاق، عن طريق مجامـع اللّغة العربيَّـة والاتحادات العلميّة العربيّة ومكتـب تنسيق التعـريب والمنظّمات المنبثـقة عن جامـعة الدّول العربية والمنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وقد بدأنا نلمس ذلك فعلا إثر صدور العديد من المعاجم الموحَّدة والموحِّدة- أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

المعجم الطبي الموحَّد، (انكليزي - عـربي - فرنسيّ)، لاتحاد الأطِباء العرب ط 2، 1983؛

والمعـجم العـسكري الموحِّـد، انكليـزي- عربي، وفـرنسي - عـربي، إعـداد لجنة المصطلحات العسكرية للجيوش العربية 1970؛

والمعـجم العربيّ المـوحّد - لمصطلحـات الحـاسبـات الالكتـرونية 1981، عـربي - انكليزي - فرنسي، للمنظمة العربية للعلوم الإداريّة؛

والمعجم الموحّـد للمصطلحـات العلميـة، في مراحل التعليم العام 1977 ثم سنة 1992، في عدّة أجزاء، كل جـزء يشتمل على مصطلحـات علم معيّن، للمنظمـة العربية والثقافة والعلوم.

كما أخذنا نلمسُ أثـر عوامل التوحيد المصطلحيّ أكثَرَ فـأكثر نتيجةً لاعـتماد مؤلّفي المعاجم والكتبِ العـلميّةِ في مـصطلحاتهم على ما يصْـدُرُ من هذه المعاجم ومـا تُقرّه تلك المؤسساتُ، ينشرونها في معاجمهم ومؤلّفاتهم فتنتشرُ وتذيعُ بين النّاس.

وكذلك بفضل مشاركة وسائل الإعلام صحافةً وإذاعةً وتلفزةً في تحرّي المصطلح الأفضل وأشاعته.

وإنّي من موقع اطّلاعي المستـمرّ خلال عقود أربعة عـلى حركة التطوّر المصطلحيّ في الوطن العـربي مقتـنع بأنّ هذا التبـاين آخذٌ في الّتـقلّص بسرعـة مطَمئنة. فـفي دراسة

أجريناها على أحدث مجموعة مصطلحات وصلتنا من مجمع بغداد، وجدناها تتّفق مع ما جاء في «معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية» و«معجم حتّى الطبي الجديد» بنسبة عالية جدّا، ما كنّا نراها أوائل السّبعينيّات. فمن 602 مصطلح كان الاتفاق تامّا في 441 وجزئيًّا في 119، ومتباينا في 42 مصطلحا، أي إنّ التباينَ الفعليَّ كان في حوالي 7% فقط من المصطلحات.

وفي دراسة أجريناها على ثلاثة معاجمَ حاسوبيّة أصدرناها لمؤلّفين من الكُويت ولبنانَ والمملكة العربية السعودية شملتْ 1349 مصطلحًا من الأحرف A وM وS قارنّاها مع مقابلاتها في «المعجم العربيّ الموحّد لمصطلحات الحاسبة الإلكترونيّة»، وجدنا التطابق تاما في 90% من المصطلحات. وكانت المصطلحاتُ المباينةُ من قبيلِ

مُراكم	و مُجَمِّع	مُقابلَ accumulator
جمْع	وإضافة	مُقابَل addition
تعليق	وحاشية	مُقابَل annotation
سمة	وعلامة	مُقابَل mark
تعديل	وتحوير	مُقابَل modification
إحساس	واستشعار	مُقابَل sense
زمن التلمُّس	ووقت التفتيش	مُقابَل seek time
مفتاح كهربائي	ومُبدّلة	مُقابَل switch

وكُلُّها، كما هو واضح، تباينُاتٌ ليستْ غيرَ متوقَّعةٍ أمام اختلافِ أذواقِ المُترجمين واتّساعِ القاموسِ العربيّ.

ولَعلّي أجزِمُ أنّ التوافُقَ في المجالات المُصطلحيَّة على امتداد الوطَنِ العربيّ هو أوثقُ حاليًا ممّا هو عليه في الميدان اللّغويّ العامّ. وهنا أذكُرُ قولاً للدكتور مصطفى حركات، مندوب الجزائر في «ندوة التعاونُ العربيّ في مجال المُصطلحات علمًا وتطبيقًا» في كلمته حول «تجربة الجزائر في مجال المصطلح الرّياضي»، وكانت الدولةُ الجزائريةُ قد استعانت بمُدَرّسين من مصرَ وسوريا والعراق وفلسطينَ في عمليّة التعريب : «ما استغربْناه هو كم إنّ التباينَ في المُصطلحات كانَ ضئيلاً، بحيثُ اقتصر على مصطلحاتٍ قليلةٍ لم يكُن من الصّعب لفتُ النّظر إليها».

ولا أريدُ إنهاءَ هذا البحث في مشاكل المعاجم الثّنائيّة العربيّة، المتخصّصة الجماعيّة بخاصّة، دونَ الإشارة إلى ضرورة دقّة المتابعة في تصحيح مسوّدات العمل المعجميّ، وأهميّة اللّماستِ الأخيرة عليْه قبل الطّباعة وخلالها. وأذكُر أنّي اطّلعتُ على عدّة أعمالٍ

معجميَّة جليلة - أنجزها علماءُ مقتدرون، أعتزُّ بصداقات مع بعضهم، ونشرتها مؤسسات نعتزُّ بها ونجلُّها - صدرت مشوّهةً بكثرة الأخطاء المطبعيّة وفوضى التّرتيب، لا الألفبائيّ فقط، بل أيضا ترتيبُ المقابلات العربيّة مقابل المداخل الأجنبيّة التي تخُصُّها. وقد علَّلَ لي أحدُ الأصدقاء ممَّن عملوا في أحدِ هذه المشاريع حدوث ذلك بأن «العُلماءَ الأفاضل عملوا وانتهوا وتفرقوا من حيثُ أتوا، وترك إنجازُ العمل وإخراجه للطبّاعينَ والسكرتيرين، فكان ما كان، وفقد العمل الكثير من قيمته وجدواه.

إنّ العمل المعجميّ الرّصين يكلّف باهظا، جهدًا ومالاً وقلقًا؛ ويستحقّ ممّن يقوم، أو يقومونَ به، ألاّ يبخلوا عليه- بعد تلك الجهود البالغة في إعداده- باللّمسات الأخيرة في إخراجه وإصداره.

ونريد أن نختم بأن نؤكد أننا لو عالجْنا كلّ هذه المعَوّقات ووحّدنا كلّ المصطلحات، وكان لنا أفضل المعجمات كمّا وكيفا، فأفضل ما يمكن أن نتوصّل إليه لا يتجاوز كونه غنًى سطْحيًا- غنًى في طول اللّغة وعرضها تستمرُّ معه علاقاتنا بركْب الحضارة العالميّ تبعيَّةً لاإبداعًا، وتلقّفًا لا مشاركة، واستهلاكاً لا إنتاجًا.

والغنَى الصّحيح، الذي نطمح إليه هو غنى العمق -غنى الإيداع والبناء لتطوير حضارة أصيلة تأخذ من الحضارة الإنسانيّة وترفدها، فتربطُ المستقبل المجيد بالماضي التّليد، وهذا لاَ يتأتّى إلاّ حين تصبحُ اللغَة العربيّة لغة المتعلّم والعَالم، ويُستَنبَتُ العلم بيئيًا عندنا، لتصبح اللّغة العربيّةُ لا لغة التعليم في كافّةِ مراحله فقْط، بل لغة البحثِ والتأليف والإيداع في العِلْم.

أحمد شفيق الخطيب

دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت